المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	الحوار في شعر ابن الأبار الأندلسي
المصدر:	أبحاث
الناشر:	جامعة الحديدة - كلية التربية بالحديدة
المؤلف الرئيسي:	الحارثي، صالح بن سالم بن أحمد
مؤلفين آخرين:	أحمد، عبدالفتاح إسماعيل عبدالله(م. مشارك)
المجلد/العدد:	ع24
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2021
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	473 - 507
DOI:	10.52840/1965-000-024-011
رقم MD:	1197354
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch, HumanIndex
مواضيع:	الشعر العربي، الشعراء العرب، نقد الشعر، الحوار الشعري، ابن البار الأندلسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1197354

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الحارثي، صالح بن سالم بن أحمد، و أحمد، عبدالفتاح إسماعيل عبدالله.
(2021). الحوار في شعر ابن الأبار الأندلسي.أبحاث، ع24، 473 - 507. مسترجع من http://search.mandumah.com//Record/1197354

إسلوب MLA

الحارثي، صالح بن سالم بن أحمد، و عبدالفتاح إسماعيل عبدالله أحمد. "الحوار في شعر ابن الأبار الأندلسي."أبحاثع24 (2021): 473 - 507. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1197354

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

الحوار في شعر ابن الأبّار الأندلسي

د. صالح بن سالم بن أحمد الحارثي

أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة نجران- كلية العلوم والآداب في نجران

Abo.nzar.11@hotmail.com

د. عبد الفتاح إسماعيل عبد الله أحمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد- قسم اللغة العربية

جامعة الحديدة- كلية التربية في الحديدة

Alqwate.2009@hotmail.com

تاريخ تسلم البحث: ١٥/١١/٢٠٢١م **تاريخ قبول البحث: ٢٩/١١/٢٠٢١م**

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن ملامح الحوار ودوره في بناء النص الشعري؛ لما له من أبعادٍ ودلالاتٍ نفسية وجمالية، يكشف الشاعر بوساطتها عن تجربته ورؤيته للحياة والناس، وعن قدرته الإبداعية على صياغة العبارات والمشاهد والتفنن في المقولات والدلالات على الرغم من القصر النسبي لهذه المقاطع الحوارية؛ الحافلة بالكثافة الأسلوبية والتعبيرية، معتمدًا في إبراز ذلك على المنهج االنفسي و التاريخي. وقد تكوَّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، هي: حوار الشاعر مع الآخر. وحوار الشاعر مع ذاته. وحوار الشاعر مع المكان.

وقد خلص البحث إلى أن الحوار في شعر ابن الأبَّار الأندلسي قد أدّى دوره في بنية النص الشعري، فجاء في سياقات موضوعية متعددة كالمدح والاستعطاف والتهنئة والغزل والشوق والحنين والذكرى، وقد أدّى في كل سياقٍ وظيفةً دلاليّة كشفتْ عن تجربة الشاعر ورؤيته للحياة والناس. وتبيّن للباحثينِ من تقنيّة الحوار أن الشاعر كان مجبرًا في كثيرٍ من جوانب حياته -وخاصة فترة بقائه في البلاط الحفصي- على التّزلّف ومداراة الآخرين واستعطافهم مرات ومرّات؛ طلبًا للحياة الكريمة والعيش بأمان، ولتحقيق ما يصبو إليه.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الآخر، الذَّات، ابن الأبّار الأندلسي.

The Dialogue in the Poetry of Ibn Al-'Abbar Al-'Andalusi

Dr. Saleh Bin Salem Bin Ahmed Al-Harthy
Assistant Professor of Literature and Criticism – Department of Arabic Language and its Literature – College of Science and Arts – Najran University
Abo.nzar.11@hotmail.com

Dr. 'Abdul-Fattah Isma'eel 'Abdullah Ahmed
Assistant Professor of Literature and Criticism – Department of Arabic Language – College of Education, Hodeidah University
Alqwate.2009@hotmail.com

Date of Receiving the Research:15/11/2021 Research Acceptance Date: 29/11/2021

Abstract:
This research aims to uncover the features of dialogue and its role in constructing the poetic text, as it has psychological and aesthetic dimensions and connotations through which the poet reveals his experience and vision of life and people, as well as his creative ability to formulate expressions, scenes, and artifacts in terms and indications despite the relative shortness of these discourse sections that are full of stylistic and expressive density. To highlight that, the study adopted the historical psychological approach. The research consisted of an introduction, a prologue, and three chapters, namely: the poet's dialogue with the other, the poet's dialogue with himself, and the poet's dialogue with the place.

The research concluded that the dialogue in the poetry of Ibn Al-'Abbar Al-'Andalusi had played its role in the structure of the poetic text, as it involved various objective contexts such as praise, sympathy, congratulation, flattering, longing, nostalgia and remembrance. In each context, it performed a semantic function that helped reveal the poet's experience and vision of life and people. The researcher, through the technique of dialogue, came to the conclusion that the poet was compelled in many aspects of his life – especially during his stay in the Hafsid court – to defer to fawn and manipulating others and appealing to them again and again, in order to lead a decent and safe life, and to achieve his objectives.

Key words: The dialogue, the other, the self, Ibn Al-'Abbar Al-'Andalusi.

مقدمة :

إن الديمومة في إقامة تواصلٍ بين شخصين أو طرفين تعدّ من أوثق سمات الحياة التي يتصل بها الحوار(١)؛ ولأهميته اتخذه الإنسان منذ فجر البشرية في خطاباته اليومية وسيلةً لأجل التعايش، فالحياة قائمة على التواصل والحوار اللذين بهما يتم التفاهم، ومعرفة أفكار الآخرين ورؤاهم، إذ إن "الكائن البشري ذاته غير متجانس، ولا يمتلك لغةً وحيدةً، بل هو لا يوجد إلَّا في الحوار؛ لأن في داخله يوجد الآخر، ومن ثم يستحيل أن ندرك الآخر خارج غيريته، أي خارج العلائق التي تربطه بالآخر"(٢)، وإذا ما فتّشنا في أُمّهات الكتب الفكرية وغيرها فسنجد أن الفلاسفة والمفكرين الأوائل قد اتخذوا لرسائلهم ومؤلفاتهم الفكرية والفلسفية شكلا حواريًّا؛ لتحقيق سبل التواصل والاتصال مع المتلقين، غير أن الشكل الحواري الذي وردت من خلاله آراء سقراط وأفلاطون ومحاوراتهما بقي مفتقدًا الطاقة التوصيلية المؤثرة التي على الحوار أن يؤديها؛ وذلك لأن تلك المحاورات لا تأتي من الحركة التي تظهر التبدل والتطور للشخصيات المقدمة، وإنما هي محاوراتٌ في صيغة سؤال وجواب لقضايا فلسفية ومنطقية تأتي غالبًا في إطار المناقشات الفكرية التي تخاطب الأفراد والقرّاء المنفردين(٣)، ثم إنها تخلو من العاطفة والحركة والتشويق التي يتميّز بها الحوار الأدبي عامة والشعري خاصةً. ولسنا هنا بصدد الحديث عن تلك المحاورات؛ لأننا معنيون هنا بدراسة الحوار في شعر ابن الأبّار الأندلسي؛ إذ إن الحوار في الشعر يختلف بطبيعته عن الحوار في غيره كالمسرح أو الرواية؛ لكنه لا يبتعد عنهما من حيث إضافة الوظيفة الناتجة عنه، فهو في الشعر –وإن جاء مكثّفًا

(١) شخصين: إشارة إلى الحوار الخارجي (الدايالوج)، ويقصد بالطرفين: الشخص في حواره ومناجاته مع ذاته، وهو إشارة إلى الحوار الداخلي (المونولوج).

(٢) تحليل لرواية تولستوي البعث، ميخائيل باختين، ترجمة وتقديم: محمد برادة، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العدد: ٢، السنة: ٣، ١٩٨٣م، (ص ٥).

(٣) ينظر: الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، عبدالسلام فاتح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ١٩٩٩م، (ص١٤).

ومختزلًا- يحمل دلالات جمالية وإيحائية عدّة قد لا تنتجها قوالب بلاغية ولغوية أخرى، إضافة إلى إسهامه في معمارية النص من حيث الترابط بين أجزائه ومقاطعه، وهو لا يأتي في النص الشعري عرضًا، ولم يستدعه سياق معين، "وإنما هو غرض أساس من أغراض النص الشعري، وأسلوب محدد من أساليبه التي يهدف بها إلى تحقيق أغراضه الشاملة لجوانب الإصلاح عامة، سواء أكانت فردية أم جماعية، وكذلك تحديد الغاية وتوضيحها بإبراز الهدف الذي تدور حوله المحاورة مع التركيز الشديد على أن يكون الهدف واضحًا ومحددًا ومقبولًا من النفوس والمشاعر بعد اجتيازه مرحلة القبول العقلي"(٤).

ويعدُّ الحوار وعاءً فنيًّا، ووسيلة من وسائل الإبداع الأدبي يستعمله الأديب لتقديم حدث للقارئ أو الجمهور دون وسيط، مصورًا به صراعًا إراديًا بين إرادتين، تحاول كل منهما كسر الأخرى وهزيمتها -أحياناً-(٥). ثم إن إدراج آليات الحوار في ثنايا النص الشعري تُضفي على الأبيات نوعًا من الوحدة والتماسك، وتُقوِّي بنية النص الشعري، وبما إن الحوار أداة من أدوات السرد الذي "يُعَدُّ مظهرًا من مظاهر الهروب من الغنائية الذاتية المنعزلة عن الآخر إلى الدرامة الموضعية"(٦) ، فإن الشاعر لم يَعُدْ يتقصّدُ غناء الذات واستغاثاتها، بل أصبح يعرضُ الواقع، ويعبّر عنه، ويروي رؤيته للحياة، فيقصّ ما حصل له مع الطرف الآخر بأسلوب خطابي يسأل أو يجيب، سواء أكان هذا الحوار أو الخطاب واقعيًا أم متخيّلًا(٧)؛ ليبرز للمتلقي فكره ورؤيته للحياة والواقع بحواره مع ذاته أو مع الآخر؛ إذ يُعَدُّ "الجسر الفكري الذي ساعد الشعراء على تبليغ دعوتهم،

(٤) أسلوب الحوار في النص الشعري الحديث، حازم فاضل محمد البارز، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، بابل، العراق، المجلد:٢٣، العدد: ٤، ٢٠١٥م، (ص١٧٠٧).

(٥) ينظر: البناء الدرامي، عبدالعزيز حمودة، دار التيسير، عمان، د.ط، ١٩٨٨م، (ص١٥٩).

(٦) أساليب الحوار في شعر ابن الوردي، عبدالله أحمد الوتوات، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، العدد: ٨، السنة ٣، يونيو، ٢٠١٧م، (ص٤٢).

(٧) ينظر: في الشعرية، كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، د.ط، ١٩٨٧م، (ص١١، ١٢).

وإيصالها إلى الناس، فهو وسيلة لتقديم حدثٍ وحركة، بل إنّ احتواء النص الشعري على عنصر الحوار يساعد على كشف غوامضه وإشكالياته الخفية"(٨).

إن توظيف ابن الأبّار لتقنية الحوار مع ذاته أو الآخر، وحضورها في بعض نصوصه الشعرية حضورًا واضحًا وجليًّا هو أحد أسباب اختيارنا هذا الموضوع دون غيره، وفضًلا عن ذلك لم نجد فيما اطّلعنا عليه من دراسات وبحوث علمية مَنْ درسَ الحوار في شعر ابن الأبّار الأندلسي، وإن كان هناك مَن دَرسَ شعر ابن الأبار عامة أو قضية نقدية معينة فيه، إلّا أنه لم يدرس الحوار، أو يهتم به بصفته سمة فنيّة تتضمن ملامح أسلوبية تعزز من بنائية النص، وتزيد من قدرته على التعبير عن رؤى الشاعر أمام ذاته وواقعه ومجتمعه، وإيصالها إلى الآخرين بأسلوبٍ يضفي على النص نوعًا من التشويق والحركة والحيوية والإقناع، ومن أبرز تلك الدراسات النقدية، دراسة حسن محمود خليل فليفل، ابن الأيار القضاعي: حياته وشعره، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٨٢م، ودراسة جمال عبدالكريم أبو نجم، شعر ابن الأبّار الأندلسي: دراسة نقدية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٩٦م، ودراسة سعود غازي محمد الجودي، شعر ابن الأبّار البلسني القضاعي (٥٩٥هـ-٦٥٩هـ) دراسة في مضامين الخطاب ومكونات المتن، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا العربية-أدب، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠٠٠م، ودراسة أحمد محمد الشوادفي محمد، الاستعارة في شعر ابن الأبّار، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠٠٦م، ودراسة حميد طريفة، ابن الأبّار القضاعي ومدائحه في البلاط الأندلسي، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م، ودراسة شاكر لقمان، بناء القصيدة في شعر ابن الأبّار القضاعي،، قسم اللغة

(٨) الحوار في شعر عروة بن الورد-الرؤية والتشكيل، محمد خليل الخلايلة، ومنذر كفافي، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، مصر، العدد: ١٦، يناير، ٢٠٠٤م، (ص١٩).

العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، ٢٠١٣م، ودراسة عزيزة عبدالستار مصطفى، الصورة الشعرية عند ابن الأبّار الأندلسي:دراسة أدبية نقدية، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١٨م.

وقد اعتمد البحث على المنهج النفسي والتاريخي في الكشف عن جماليات الحوار في النص الشعري، والكشف عن خلجات الذات الشاعر. وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، هي: المبحث الأول: حوار الشاعر مع الآخر. والمبحث الثاني: حوار الشاعر مع ذاته. والمبحث الثالث: حوار الشاعر مع المكان. مقفِّيًا ذلك بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ويليها ثبتٌ بالمصادر والمراجع التي رجع إليها البحث، واستفاد منها.

تمهيد:

وردت مفردة الحوار في معاجم اللغة العربية تحت الجذر الثلاثي (ح. و. ر)، وقد جاءت بمعنى المجاوبة، والتجاوب، ومراجعة الكلام(٩). وهذا يعني أن هناك تفاعلاً حقيقيّاً، واستجابةً معينة لما يطرحه الحديث بين أطراف الحوار من مضامين وأفكار.

ويعرّف الدكتور جبّور عبدالنور الحوار بأنّه "حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه، أو من ينزله مقام نفسه كربَّة الشعر، أو خيال الحبيبة مثلًا"(١٠). ولم تعدّ دراسة الحوار في الشعر العربي- قديمه وحديثه- تلتزم بالنظرة التقليدية التي ترى أن من خصوصية الحوار أن يكون منطوقًا، وأنه يجب أن يكون بين شخصين أو أكثر؛ فالدراسات الحديثة لم تقف عند ذلك فحسب؛ إنما اهتمت في دراستها للحوار بصيغٍ وأنماطٍ جديدة، مثل: الحديث الفردي الصامت، بتأثير أسلوبٍ يُعرف بالسرد الذاتي، وهو حديث تناجي به الشخصية نفسها من دون

(٩) ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، (مادة: حور).

(١٠) المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، (ص١٠٠).

تدخل الآخر، وعدم افتراض أن هناك سامعًا، وبصورة مناجاة خاصة متحررة من القيود الخارجية(١١)؛ ولهذا "يرى بعض الدارسين أن الحوار الناجح هو القائم على الأساليب الفنية المعبرة عن الشعور والعاطفة، وترك العبارات التي لا قيمة لها"(١٢).

والحوار الشعري هو "عبارة عن حدث معين وقع فعلًا في حياة الشاعر، أو له علاقة بشؤون حياته، أو شاهده، أو استمده من مخيلته، أو من الموروث الشعري القديم"(١٣)، ولذا فهو يأتي نتيجة للتجربة الشعورية التي يمر بها الشاعر، واستجابةً لمتطلبات نصّه الشعري. وعليه فإن صيغ الحوار وأنماطه تتعدد في شعر ابن الأبّار الأندلسي في المحاورة مع الذات الشاعرة والآخر، فقد تأتي بصيغ القول وتصريفاته المتعددة، أوبصيغ أخرى تدل على وجود متحاورين كصيغة السؤال والجواب أو صيغ النداء أو الأمر أو النهي التي لها علاقة وطيدة بالحوار؛ لأنها قائمة على الطلب، وتنبيه المخاطَب، ولما فيها من تفاعل لفظي؛ لكون الحوار أحد أشكال هذا التفاعل القائم -عادةً - بين المبدع وغيره، سواء أكانوا جماعة أم واحدًا، وهو حوارٌ مع الآخر، ويسمى الحوار الخارجي، وقد يكون بين الشاعر ونفسه، ويسمى حوارًا داخليًّا(١٤)، ومحاورة الشاعر نفسه "دالَّةٌ على تقليبه الأمور من أوجهها جميعًا، ومحاورته الآخر دالَّةٌ على تقبّله لهذا الآخر"(١٥)، ومَن لم يستطع محاورة نفسه فإنه لن يستطيع محاورة الآخرين؛ لأن محاورة الذات تفتح آفاقًا واسعةً من الحوار مع الآخر؛ ولأن الإنسان عادةً يحتاج إلى أن يراجع نفسه، ويفهم ذاته

(١١) ينظر: تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: د. محمود الربيعي، دار المعارف، مصر، ط٢، د.ت، (ص٤٢ وما بعدها).

(١٢) الحوار في القصة والمسرحية، طه عبدالفتاح، ، دار النشر للطباعة، مصر، د.ط، ١٩٧٥م، (ص١٠).

(١٣) أسلوب الحوار في النص الشعري الحديث، حازم فاضل محمد البارز. (ص١٧٠٧).

(١٤) ينظر: البنية الدرامية في شعر أمل دنقل، كمال أبو ديب، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد:٤، العدد:٤، ١٩٩٦م، (ص١١٩).

(١٥) ثقافة الحوار مع الآخر في نماذج من الشعر الجاهلي، عمر عبدالله أحمد شحادة، وريم فرحان عودةالمعايطة، مجلة العلوم العربية والإنسانية، المملكة العربية السعودية، المجلد: ٧، العدد:٢، ٢٠١٤م، (ص٦٩٧).

فيدخل معها في حوار، بحيث تكون الخلجات الداخلية والأحاسيس الذاتية دافعًا أساسيّا لتكوين الحوار(١٦).

المبحث الأول: حوار الشاعر مع الآخر (الحوار الخارجي)

هو الحوار الذي يوحي للقارئ بوجود شخصيتين تتحاوران داخل النص الشعري – حقيقةً أم تخيّلًا– استدعاهما خيال االشاعر ابن الأبار الأندلسي، واشتركتا في المحاورة معًا؛ ليستنطق أشكالَ الوعي، وليفصح بحواره مع الآخر عن أبعاد الشخصية التي يتحاور معها، وعن رؤيتها الخاصة للواقع ولمن حولها. فالحوار يأتي "مجسدا لصوتين منفصلين، صوت الشاعر وصوت الآخر في ظل رؤيتين عبر صوتين يتجاذبان ويتصارعان كل منهما له رؤيته الخاصة للأشياء والعالم"(١٧)، وقد تكون محاورة الشاعر ابن الأبار للآخر دالّةً على تقبّله لهذا الآخر الذي قد يكون أبناءه الذين يشتاق إليهم، أو الأصحاب الذين يبث إليهم نجواه وأحزانه، أو المحبوبة التي فارقها وابتعد عنها، أو السلطان أو الأمير الذي يحاوره في البلاط الحفصي، فتارة قد نجد فيه الإجابة من الطرف الآخر، وتارة أخرى لا نجدها؛ إذ ينفرد ابن الأبار بالخطاب الحواري معمن يحاورهم مستخدمًا بعض آليات الحوار الواضحة: (قال– قلتُ– يقولوا، قالت، قُلْ، تعالوا، سألتْ، هتفتُ، وبعض صيغ النداء والاستفهام والأمر)؛ ليترك للمتلقي مساحةً لإمعان النظر، وتحليل الشخصية والكشف عن هويتها، ومن أمثلة ذلك ما نراه من حوارٍ بين الشاعر ابن الآبار ورفقائه وأصحابه وتعجبهم من سهره ليلًا، إذ يقول في مقطوعته(١٨):

وقَالَوا: ألفْتَ الكَرَى نُطْفَةً وبتَّ على ظَمَإٍ للكَرَى

(١٦) ينظر: الحوار، الذات والآخر، عبدالستار الهيتي، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٤م، (ص٩٩، ١٠٢).

(١٧) الحوار، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، عبدالناصر هلال، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، (١٦١).

(١٨) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، قراءة وتعليق: عبدالسلام الهراس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د.ط، ١٤٢٠ه، (ص٤٦٧).

فَقُلتُ: الهَوَى ضَافني طَاوِيًا إلَيَّ المَراحلَ يشْكُو السُّرَى
فَبوَّأتُه مُقلتِي منزِلًا وقدَّمتُ نَوْمِي إليه قِرَى

لقد جاءت بنية الحوار في هذه الأبيات معتمدةً على فعل القول (قالوا- قلتُ) بين الشاعر والآخر، وهم أصحابه مَنْ يعاتبونه على سهره وحالته النفسية غير المستقرة التي لا تجد نومًا، فيجيبهم إن الهوى قد نزل عنده ضيفًا، فسلب عقله وأسكنه في مقلتيه، وقدَّم إليه نومه قرى، وهذه صورة فنيّة بديعة توحي بحالة الشاعر النفسية المضطربة بسبب الظروف الحياتية التي يمر بها، فهو في صراع داخلي مع ذاته ومع الآخر، ومع ما يدور حوله من أحداث، وإن كان الحوار هنا مع الآخر إلّا إنه تعبير عن صوتٍ داخلي يحس به الشاعر، ويريد إخراجه للآخرين، وذلك عبر صيغتي القول: (قالوا- قلتُ)؛ وتكرار لفظة: (الكرى)، والاهتمام بها، وما لها من تأثير على نفسية الشاعر؛ لكونها النتيجة لدافع الهوى الذي تمكّن من قلبه، واستولى على مشاعره وأحاسيسه، ولذا فقد أدى الخطاب الحواري دوره في بنية النص وفي الإفصاح عن نفسية الشاعر وحالته الشعورية،

وفي سياق الحديث عن الذكرى والشوق يشير إلى حوارٍ له مع طائفة من المجتمع، ترى أن الخروج إلى أرض الروم منقصةً للفرد، وليرد عليهم بسبب إنكارهم له ذهابه مع سيده أبي زيد بن عبدالرحمن الموحدي حاكم بلنسية المخلوع إلى صاحب أرغوان سنة ٦٢٦ه، فيقول(١٩):

قالوا: الخروج لأرْض الرُّوم فقلتُ: كَلاّ ولكن صادُها باءُ
إذَا خَرَجْتُ وَفَاءً ثم عُدْتُ تُقىً أثْنَتْ بِفعلي عُداتي والأحِبّاءُ
وكان لي في قُرَيْشٍ أسْوَةٌ وكفى مع النّجاشيِّ تَرْضاها الأُلِبّاءُ

يبرز الخطاب الحواري بين الشاعر ومن يلومونه عن الخروج إلى بلاد الروم من صيغة القول: (قالوا-فقلتُ) حيث يحاججهم بأسلوب لغوي فيه من الأدب والإقناع ما قد يفحم الخصم؛ إذ يرد عليهم بأن خروجه منقبةٌ له وليس منقصةً؛ وفاءً لصديقه أبي زيد،

(١٩) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٥٦).

وله أسوة في قريش حينما هاجر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة فرارًا بدينهم. فهو في حواره هذا لم يمدح الروم، وإنما افتخر بخصلة حميدة اعتز بها كثيرًا، وهي الوفاء وحفاظه على دينه وعقيدته.

ويصف في سياق المدح لأبي زكريا الحفصي بمناسبة نجدته الأندلس بالأسطول الحفصي تلك الجماعة من الناس التي تتباهى بمكانتها بين المجتمع قولًا فقط، وتتخاذل في الدفاع عن الأرض وغير ذلك، إذ يقول(٢٠):

وقُلْتُمْ نحن أكْفَاءٌ وأنَّى ... تُضاهي نارَ أخضركم ضُحاءُ
دَعاوي اليَأْس عادتُكم ولكِنْ ... بِحيث يُمَدُّ لِلْمَجْرى الخَلاءُ
تَعَالَوْا إنَّها أسُدٌ خِمَاصٌ ... بأيْديها لَكُمْ أسُلٌ ظِماءُ
حِصادُكُمُ على الأسْياف دَيْنٌ ... ومِنْ تلك الأكُفِّ لَهُ اقْتضاءُ
ستَصْدِمكُم وَتصْمِدُكم خُيولٌ ... مِنَ الأسطُول ضَمَّرها الجِراء

يكشف الحوار في هذه الأبيات للمتلقي الموقف المتناقض للطرف الآخر الذي يحاوره الشاعر؛ وذلك لادّعائهم بأنهم أهل للحرب، وهم على خلاف ذلك، فاليأس عادتهم، والضّعف والهوان في الحروب سجيّةٌ فيهم؛ ولذا فإنه يرد عليهم ردّا يفنّد دعواهم، ويناديهم بأن يأتوا لساحات الوغى باستخدامه فعل الأمر (تعالوا)، مع علمه بأنهم لن يأتوا خوفًا من الموت.

وفي سياق المدح والاستعطاف وطلب الغوث والنجدة يوظِّفُ الشاعر بعض آليات الحوار في قصيدته السينيّة المشهورة التي وجهها للملك أبي زكريا، عندما أوفده إلى تونس ابنُ مردنيش للاستنجاد بالملك الحفصي إبان حصار بلنسية، ومن آليات الحوار التي وظّفها في بنية اللغة الشعرية صيغ الأمر التي استهل بها مطلع القصيدة، وما يليه من أبيات، وهي: (أدرك-هبْ- وحاشِ)، إذ يقول(٢١):

(٢٠) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٥٦).
(٢١) المصدر نفسه، (ص٤٠٨).

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ الله أندلسَاً إنّ السَّبِيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسَا
وَهَبْ لهَا مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ مَا فَلَمْ يَزَلْ مِنْك عزُّ النَّصْر مُلْتَمسا
وحاشِ ممّا تُعانيه حُشَاشَتهَا فَطَالَمَا ذَاقَتِ البَلَوى صَبَاحَ مَسَا

لقد أجاد الشاعر في توجيه خطابه الحواري، فجاء مناسباً للمقام، ومقنعاً للمتلقي، فالخطر مدلهم، والمصاب جلل، حيث جاءت مفرداته اللغوية حاملةً لمعاني كبيرة تتناسب وشخصية الممدوح المتحاور معها، فالفعل "أدرك" فيه طلب لا يحتاج للتأخير، وشدّة حاجةٍ للنجدة والانتصار؛ بدليل تعضيده بالفعل "هَبْ"، الذي يدل على الهبة من دون مقابل، ثم إن الشاعر جاء به مفتاحاً لإيقاد القصيدة، وإيقاظاً لضمير الملك الحفصي، فحال أهل الجزيرة لا يحسدون عليه، فهم يعانون مرارة الحياة والعيش والتعذيب صباح مساء حتى أصبحوا جزراً للسباع، فقد تم استبدال شعائر المسيحية بشعائر الإسلام، وعاث جيش الكفر فيها فساداً، فرفعوا فيها راية التثليث، ونكّسوا راية التوحيد، ولذا فالشاعر يطلب من الملك أبي زكريا أن يصل حبل الجزيرة، ويعيد لها ما طمسه الأعداء، فيقول(٢٢):

صِلْ حَبْلَها أَيُّها المَوْلَى الرَّحيمُ أبقى المِراسُ لَها حَبْلاً ولا مَرَسا
وأَحْيَ مَا طمَستْ منْه العُداةُ كمَا أحيَيْتَ مِن دعوَةِ المَهْديِّ ما طُمِسا

إن المتأمّل في القصيدة يجد أن الشاعر في خطابه لا ينتظر رداً كلاميّاً منطوقاً أو مكتوبا؛ لأنه يعلم مَنْ يخاطب، فالملوك لا يردّون بالقول في مثل هذه المواقف، وإنّما الفعل والتنفيذ هو من يُنطق بالرد، ولذا نلحظ أن الشاعر قد أكثر من آليات الحوار في القصيدة؛ لما لها من دور فاعل في نفسية المتلقي، وقد ألحّ على ذلك حتى نهاية القصيدة، موضحاً بقناعة تامة أن مَنْ يوجه له الخطاب هو الوحيد الذي سيخلّص بلنسية من براثن العدو، ويفك الحصار عنها، حيث يقول(٢٣):

(٢٢) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٤١٠).
(٢٣) المصدر نفسه، (ص٤١٢).

يَا أَيُّها المَلِكُ المَنْصُورُ أنْتَ لَهَا عَلَيَاءُ تُوسعُ أَعْداءَ الهُدَى تَعَسا
وقَدْ تَواتَرتِ الأَنْبَاءِ أَنَّكَ مَنْ يُحْيِي بقَتْلِ مُلوك الصُّفْرِ أَنْدَلُسا
طَهِّرْ بِلادَك منْهُم إنَّهُم نَجَسٌ ولاَ طَهَارَةَ ما لَمَ تَغْسِل النَّجَسا
وأَوْطِئِ الفَيْلَقَ الجَرَّارَ أرضَهُمُ حتَّى يُطَأطِئَ رَأْساً كُلَّ مَنْ رَأْسا
وانْصُر عَبِيداً بأَقْصَى شَرْقِها عُيُونُهم أدْمُعاً تهْمِي زَكاً وخَسا
هُمْ شِيعَةُ الأَمْرِ وهْيَ الدَّارُ قد دَاءً ومَا لَمْ تُبَاشِرْ حَسْمَهُ انْتَكَسا
فامْلأَ هَنِيئاً لَكَ التَّمْكِينُ جُرْداً سَلاَهِبَ أوْ خَطِّيَّةً دُعُسا
واضْرِب لهَا موْعداً بالفَتْح ترْقُبُه لعَلَّ يوْمَ الأَعادي قدْ أَتَى وعسَى

ولذا نلحظ أن آليات الحوار التي وظّفها الشاعر في قصيدته كأسلوب النداء والأفعال الطلبية التي توالت في أكثر من بيتٍ إلى جانب اللغة الشعرية التي امتازت بها قد أدت دوراً جمالياً في توصيل معاناة أهل بلنسية، وأثارتْ الحميّة في نفس الملك أبي زكريا، فما كان منه إلّا الاستجابة على الفور بإرسال أسطولٍ بحريٍّ مزودٍ بالمؤن والأسلحة لنجدة بلنسية.

ويخاطب الشاعر ممدوحه أبا يحيى زكريا الحفصي وليّ العهد وأمير بجاية، مستخدماً بعض آليات الحوار، كأسلوب النداء، حيث يقول(٢٤):

يَا أيها المَنْصُورُ بُشْرى بالتي أوْقَعْت فيها بالعدى سَفْاحا
مَهّدْتَ أكْناف البَسيطة بَاسِطاً يدَكَ العِلِيّةَ باللُّهى مَيّاحا
ومحَوْتَ آثارَ الفَسَاد فعُوّضَت بِظُبَاك أمنّاً شَامِلاً وصَلاحا
دُنْيَا كَمَا طَلَعَ الرّبيعُ فلا تَرى إلا تِلاعاً نضْرَةً وبِطاحا

يقدِّم الشاعر باستخدامه تقنية الحوار بينه وبين ممدوحه أبي يحيى للمتلقي رؤىً متعددة تمتع بها الممدوح، والتي منها: رؤية الشجاعة والإقدام وشدّة البأس، وتوطيد

(٢٤) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص١٢١، ١٢٢).

أركان الدولة الحفصية، ومحاربة الفساد، وبثّ الطمأنينة والأمان في نفوس المجتمع. وأيضًا رؤية الكرم والجود والعطاء، فالممدوح كثير العطاء جوَّادا "يدك العليّة باللهى مياحا". ولذا فالأفعال (أوقعتَ-مهّدتَ- محوتْ- فلا ترى) أدَّت وظيفة دلاليّة في الأبيات حيث أكّدتْ ما يريد الشاعر إيصاله للمتلقي في سياق المدح مِن إبراز شخصيّة الممدوح، وما يتميز به من وعي فكري وسياسي، جعله يتقلّد ولاية العهد وإدارة شؤون إمارة بجاية معاً.

وينبثق الحوار في شعر ابن الأبّار حين يشتاق لوطنه، فيستحضر محبوبته (جنان) في قصيدة يمدح فيها أبا الحسين الخزرجي حاكم شاطبة، ويبثّ شوقه لوطنه؛ وذلك عند رجوعه من بلاد النصارى ومفارقته لأبي زيد(٢٥):

دَجَا ما بَيْنَنا فَمَتَى وحَتّى ... يُنِيرُ وفي إجَابَتها تَوانِ

وقُلْتُ: أُخِيفها لِتَكُفَّ عَنِّي ... فقالت لِي: يُقَعْقَعُ بالشِّنانِ

فَكَيْفَ تَرَى وقد شُبَّتْ ... أَأَقْدِمُ أم أقِرُّ مَعَ الهَوَانِ؟

لقد جاء الحوار في هذه الأبيات معتمدًا على الأفعال: (دجا- ينير)، و(قلتُ- قالتْ) و(أقدِم- أقِرُّ)؛ ليؤكّد للمتلقي أن الشاعر يعيش في حالة قلق واضطراب وعدم استقرار، فالحياة بينه وبين محبوبته قد أظلم طريقها، فهو في ترددٍ دائم، وحيرة لا يعلم متى سيجد إجابةً من محبوبته التي ستنير طريقه؛ ولأنها تتواني في ذلك، فقد وظّف الأفعال المتتالية: (قُلتُ- أخيفها- لِتَكُفَّ)؛ ليحقق بها ما يريده من محبوبته؛ لعلّها تتراجع، وتلين معه في الحديث، لكنها لا تعيره اهتمامًا، حيث وجّهت له المثل السائر (لا يقعقع بالشنان)؛ لتشير إلى دلالته، وهو أنها لن تنخدع، ولن تخاف منه، فقد كانت إجابتها له بالمثل السائر على سبيل الاستفهام الاستنكاري، وكأنها تقول له: ألمثلي يقعقع بالشنان؟ ولذا فإننا نلمح التأزّم النفسي بينهما في البيت الثالث؛ وذلك بتوظيفه أسلوب الاستفهام الذي يدل على

(٢٥) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٣٤٠).

التعجب (فكيف ترى وقد شُبّتْ وغاها..)، وعلى الحيرة والتردد (أأقدمُ أم أقرُّ مع الهوانِ؟!).

وإذا ما تأملنا لصوت (القاف) في بنية مفردات الخطاب الحواري (قلت- فقالت- يقعقع- أأقدم- أقرّ) فقد جاء مناسباً للمقام، فالشاعر يريد أن يفجّر بحضور هذا الصوت في بنية المفردات مكنوناته الداخلية إلى الخارج؛ ليكشف عن حالة التأزم النفسي بينه وبين محبوبته، وهذا التأزم هو ما جعله يعتمد صيغ الفعل المضارغ الدالة على الزمن الحاضر (يُنيرُ- لتكفّ- يقعقعُ- أقدمُ- أقرُّ) في تشكيل البنية اللغوية للحوار الخارجي.

وفي سياق المدح يعقد الشاعر حوارًا بينه وبين عاذليه عن الهوى في قصيدة له مدح بها أبا زكريا بمناسبة تولية أبي يحيى ولاية العهد سنة ٦٣٨هـ، حيث يقول(٢٦):

مَاذا يَرُوْمُ العَذْلُ منيَ ماذا ... أَوَ لَيْسَ قَلْبِي جَذْوَةً وَجُذَاذا؟
قالوا: عِياذُكَ في السُّلُوّ من ... قُلْتُ: الهوى أَخْتَارُ منه عِيَاذا
بأبي مَهَاةٌ عَوّدتْ ألْحَاظَها ... فَرْسَ الأُسُوْدِ فَما تُطِيْقُ لِوَاذا
عَزْلاءُ والشَّاكي السِّلاحَ ... جَعَلَتْ أَخِيْذَ دَلالها الأَخَّاذا

بدأ الشاعر البنية النصية الحوارية في هذه الأبيات مع عاذليه وحسّاده بأسلوب الاستفهام التقريري، الذي يريد بواسطته أن يقرر لعاذليه، ويفصح لهم عن فرحته بتولية أبي يحيى ولاية العهد، فيستخدم الصيغة القولية (قالوا)؛ ليلفت انتباه المتلقي إلى القضية الدائرة بينه وبين عاذليه عن الهوى؛ فيبدأ حواره الخارجي بأسلوب الاستفهام الذي يكشف به عن حالته النفسية وما يعتريها من حيرة، وعدم فهمه لما يريد الآخرون منه، فنراه يتساءل عن ذلك؛ ليجسّد تلك الحالة، ويوضحها بتوظيفه الصيغة القولية: (قالوا: عياذك في السلوّ من الهوى) التي توحي بأن راحته النفسية لا تكون إلا في نسيان مَن يهواه؛ لكنه يؤكّد ملازمته لمن يهواه طوعًا لا كراهيةً؛ قائلاً: (قُلتُ: الهوى أختارُ منه

(٢٦) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص١٩٣).

عياذا)، وكأنّه يريد أن يبيّن للمتلقي واقعه النفسي والاجتماعي من خلال استعماله لصيغ الحوار (قالوا- قلتُ).

ثم إن تكراره لصيغة الاستفهام (ماذا) يكشف عن وجود حوارٍ سابق بين الشاعر وعاذليه؛ ما جعله يقف حائراً مستفهمًا عمّا يريدونه منه بتكراره لأداة الاستفهام (ماذا) التي لا يريد جواباً لها بقدر ما يريد منها أن تثير في ذهن المتلقي/ السامع التساؤلات والتأويلات، ثم يتبع ذلك باستفهام تقريري (أوليس قلبي جذوة وجذاذا)؛ ليؤكّد حالةَ الفرح والسعادة والنشوة التي اعترته بمناسبة تولية أبي يحيى ولاية العهد.

ويبرز الحوار الخارجي بين الشاعر وبين عاذليه في بنية البيت الثاني باستخدام صيغ القول (قالوا، وقلتُ)، فيكرر الشاعر لفظ: (عياذك- عياذا)، وكلمة (الهوى)؛ ليبين للمتلقي/ السامع موقفه الإيجابي تُجاه مَنْ يهواها؛ فيصفها في البيت الثالث والرابع بأوصاف الرّقّة والجمال، فهي مهاةٌ ذات دلال أخّاذ تسبي العقول.

وفي سياق مدح الشاعر لأبي زكريا وافتخاره بقومه قضاعة يشير إلى ما دار بينه وبين رفقة له يلومونه في حبّه للمرأة التي تنتسب لبني مالك، وتصابيه، واتباع الهوى، فيقول(٢٧):

يقُولون: أتبعْتَ الصّبا آهَةَ ... فقُلْت: ارْتِشافُ الرّاح يتْبعُه السُّكْرُ

صَبَرْتُ إلى أن أَوْمأَتْ ... فلمَّا استقَلَّ الرّكبُ أسلمني الصّبرُ

ومِنْ أيْنَ أو كَيْف التّجَلُّدُ ... ومَدُّ الأسى في القَلْب لَيْس له

حَيَاتِيَ هَجْرٌ كلُّها وقَطيعَةٌ ... أما آن أنْ تَفْنَى القطيعةُ والهَجْرُ

يقيم الشاعر حواره في هذه الأبيات بين صوتين صوت الغائب (يقولون)، وصوت المتكلّم (قُلتُ)، فصوت الغائب فيه عتاب، وفيه نزعة تشاؤمية تُجاه الآخر والحياة، في حين نجد في صوت المتكلم (قلتُ) النزعة التفاؤلية، والتشبّث بالحياة مهما كانت الظروف من خلال مفرداته المتتابعة في ثنايا الأبيات ذات القيم الإيجابية التي تعكس رؤياه

(٢٧) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٢٢٦).

التحررية: (ارتشاف الراح- يتبعه السكر- صبرتُ- أسلمني- ومن أين؟ أو كيف التجلّد..؟ حياتي هجرٌ – وقطيعةٌ- أما آن أن تفنى القطيعة والهجرُ). وبتلك القيم الإيجابية فإنّ الحوار الخارجي قد أدّى دوراً فنيّاً في كشف رؤيا الشاعر التحررية، وفضلاً عن هذا فقد أفصح عن الحالة النفسية للشاعر مع من يهواها، فشبه تلك الحالة بحالة شارب الخمر وما يحدثه في نفسه من نشوةٍ وسُكر، وهنا يتضح دور الحوار -أيضاً- في القدرة على الإقناع والكشف عن فلسفة الشاعر ورؤيته لواقعه وحياته، فتساؤله مع من يحاورهم: (من أين أو كيف التّجلّد للنوى؟) يكشف للمتلقي عن مشكلة يعاني منها الشاعر مع ذاته وتشغله دائمًا، فالأسى يخيّم في قلبه، ولا يستطيع أن ينفك منه، إذ إن حياته كلها فراق وقطيعة مع الأحبة والأهل والوطن، ولذا فإن الحوار قد جاء ليؤدي وظيفة دلالية في النص.

ونحو ذلك يأتي الحوار مع أصدقاء الشاعر في سياق الغزل؛ ليؤكد للمتلقي شوقه لمحبوبته، وليفصح عن حالته الشعورية تُجاهها، إذ يقول(٢٨):

وما علِمَتْ أنّا قنائصُ لَحْظِها ورُبّ مَهاةٍ تقْنِصُ اللّيث أغْلَبا
فقُلتُ لصَحبي واثقًا بقُرْبِي التصابي لا تَريمُوه مَرْقَبا
وأقْبلْتُ أسْتقري خُطاها مجَرًّا لِمَوْشِيِّ البُرود ومَسْحَبا

وفي سياق الرثاء والتهنئة معاً يأتي الحوار مع الآخر؛ ليقدم رؤية الشجاعة والإقدام، فيستخدم الشاعر الصيغة ذاتها (سلْ)؛ ليؤكد للمخاطَب المكانة الاجتماعية التي كان يتمتع بها المرثي أبو زكريا الحفصي المتوفى ببونه ٢٢ جمادى الأولى ٦٤٧هـ، والتي لا يجهلها أحدٌ، ويهنّئ المستنصر بالخلافة، حيث يقول(٢٩):

سَلْ عَنْ ظُباه مَشارِقاً تُنْبِئْكَ عَنْ إغْمَادِها في الهْامِ
وانْظُرْ إليه مُسالِماً ومُحَارِباً تَجِدِ الهِدايَةَ أُسْوَةَ الإلْهَامِ

(٢٨)الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص١٠١، ١٠٢).
(٢٩) المصدر نفسه، (ص٢٧٦).

جاء الحوار في هذين البيتين ليبين للمتلقي ما كان يتصف به المرثي من شجاعة وإقدام في ساحات الوغى، ويبرز أيضاً الرؤية الإيمانية المتزنة التي يتمتع بها المرثي أبو زكريا في السّلمِ والحرب. إذ يوحي فعل الأمر (سلْ) للمتلقي بأن الشاعر يريد أن يدخل شخصية أخرى بينه وبين من يحاوره؛ ليؤكد بذلك خطابه الذي يريد إيصاله لمن يحاوره أولاً وللقارئ أو المتلقي ثانياً.

وفي سياق الشوق والحنين للمحبوبة، واسترجاع الذكريات معها، وبأسلوبٍ يتسم بصدق العاطفة، يخاطب الشاعر أصدقاءه، ويعاتبهم على تصديقهم لما يقوله العُذَّالُ والواشون عنه، ولعله "يرمز بالحبيبة الصادة الهاجرة له بكل قسوة إلى أبي زكريا الذي جفاه وأبعده مع شدة محبة ابن الأبار له"(٣٠)، وفي ذلك يقول(٣١):

قَبِلْتُمْ مَا تَقَوَّلَهُ العَذُولُ وَرُدَّ بما تَحَمّلَه الرّسولُ
وشَقّ عليكُمُ شوْقي إليكُمْ فحُلْتُمْ والمُتَيّمُ لا يحولُ
وما آثرْتم الإنصافَ حُكمًا لِقابِلِ ما أَدين به القَبُولُ

يبدأ الشاعر حواره مع أصحابه باستخدام الأسلوب التقريري الذي ابتدأه بالفعل الماضي (قبلتم)؛ ليشير إلى أنّ ما قاله الواشون عنه قد أثّر في أسماعهم، فصدقوا ما سمعوه عنه، ولذا فإنه يتخذ من الحوار وسيلةَ عتابٍ لهم، لكنه عتاب المحبّ، بدلالة قوله لهم: (وشقَّ عليكم شوقي إليكم)، وقوله: (وما آثرتم الإنصاف حكما)، ولذا فالحوار هنا قد أدى وظيفة إبلاغية، وهي الكشف عن حقيقة الأصدقاء في عدم الانصاف، وعدم التماسهم له العذر، ثم يتابع الشاعر حواره بقوله(٣٢):

إذَا لم تَمْنَحُوا المشتاقَ عطْفًا فَمَنْ ذا أسْتنيلُ وأسْتقيلُ؟

(٣٠) شعر ابن الأبّار البلسني القضاعي(٥٩٥ه-٦٥٩ه) دراسة في مضامين الخطاب ومكونات المتن، سعود غازي محمد الجودي، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية- أدب، كلية اللغة العربية: مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ٢٠٠٠م، (ص٦٣).

(٣١) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٢٣٤).

(٣٢) المصدر نفسه، (ص٢٣٤، ٢٣٥).

لقدْ قَعد الضّنى بي في هواكُم فقام به على تَلفي الدّليلُ
تمكّن من مسامعِها العَذول فقال: وأنتَ تَدري مُا يَقُول
وقدّرَ أنّني أسْلو هواها وهل يسلو بُثَيْنَتَهُ جميلُ؟
مَعاذَ اللهِ مِنْ تصْديق وَاشٍ يُخَبِّر كاذِبًا أَنِّي مَلُولُ
وكيفَ وأنتمُ أملي وسُؤْلي وحسْبي منكُمُ أمَلٌ وَسُولُ

لقد وظّف ابن الأبّار أسلوب السرد في حواره مع أصحابه المتّسِم بالتشويق واختيار المفردات التي تفصح عن الحالة الشعورية لدى الشاعر تُجاه أصحابه، وحجاجه معهم بأسلوب مقنع باستخدامه لصيغ وأساليبٍ معينة، كـ: (تمنحوا- وأسلوب الاستفهام: مَنْ ذا أستنيل وأستقيلُ- فقال: وأنت تدري ما يقول- أسلو هواها- أسلوب الأستفهام: وهل يسلو بُثَيْنَتَهُ جميلُ؟- معاذ الله من تصديق واشٍ- وكيف وأنتم أملي وسُؤْلي؟!). ثم يتابع الحوار معهم، فيبثُّ شوقه لمن يحبها، لكنه يتفاجأ بها تشاركه وأصحابه الحوار موجهة سؤالًا للجميع: مَنْ قتيلي خبروني؟ وطالبةً الإجابة عنه؛ ليدرك أيضًا أنها قتيلة حُبه، فما كان عليه إلاّ أن يجيبها بقوله: فديتكِ يا قتول، أنا القتيلُ، وفي ذلك يقول(٣٣):

ولي عَزْمٌ على تَقْبيل فِيها سَأُمْضيه وإنْ أنِف القَبيل
وقالت: مَن قَتِيلِيَ خَبِّروني؟ فَدَيْتكِ يا قتولُ أنا القتيل
إلى مَنْ أشْتكِي بثّي ومَنْ ذا يلاطفكم وقد حُجِب الرّسول؟

وفي هذه الأبيات يأتي البيت الثالث ليكشف عن الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر؛ وذلك بتوجيهه السؤال الاستفهامي: إلى من أشتكي بثي ومن ذا يلاطفكم..؟ ليدل على الحيرة والاضطراب وعدم القدرة على اتخاذ القرار أمام ذاته والآخر. وفي موضع آخر أيضًا يعقد ابن الأبّار حوارًا بينه وبين معشوقته "أمامة" في سياقٍ كلّه غزلٍ، فيقول(٣٤):

(٣٣) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٢٣٥).
(٣٤) المصدر نفسه، (ص٢٣٣).

مَهْلًا أُمَامَةُ كَمْ تَطُولُ نَوَاكِ والقَلْبُ قَدْ هجَر الحِسانَ سِوَاكِ
يَهْوَاكِ دُون الغَانِيات وعِنْدَه أنّ الْمُوَفَّق مَنْ غَدَا يَهْوَاك
ويَراكِ مَاثِلَةً لَهُ بِضَمِيره إنِ اللّيالي بَاعَدَتْ مَثْوَاك
يَا هَذه نَفْسِي لَدَيكِ رَهِينَةٌ فَهَبِي لَهَا يَا هَذه رُحْمَاك
مُنِّي عَلَيَّ بِرَشْفَةٍ تَشْفي الصّدَى إنّ الصّدَى يَشْفِيه رَشْفُ لَمَاك
إياك أنْ تَدْعِي الضَّنى يَغْتَالُني ومِنَ الجَفَاءِ مَقَالتي إيّاك

يوظف الشاعر في حواره مع معشوقته صيغة اسم فعل الأمر "مهلًا"، وفعل الأمر "هَبِي" و"مُنِّي"، وأسلوب النداء" يا هذه.."، وأسلوب التحذير "إيّاكِ"، وهذه الآليات الحوارية المستعملة في النص الشعري تفيد دلالة الاشتياق والحنين. فالشاعر يستحضر معشوقته التي سلبت عقله، ويخاطبها وكأنها ماثلةٌ أَمَامَهُ، غير أنه لم ينتظر منها جوابًا؛ لعلمه ببعد المسافة المكانية بينه وبينها، وليؤكّد شدّة الوجد وألم الفراق الذي يعانيه.

ويراوح ابن الأبار في أسلوبه الشعري بين حوار الذات والحوار مع الآخر، وذلك في سياق ذكرى أُنْسه وأشواقه، فيقول(٣٥):

أَرَانِي كُلَّما ذُكِّرتُ أَنْسَى فَهَلْ مِنْ وَحْشَتي أَعْتَاض أُنْسَا
وقالوا مَا لِمِثْلِكَ ظَلَّ يَأْسِى فَقُلتُ عَلَى رَجاءٍ عَادَ يَأسَى

يربط الشاعر بتوظيفه تقنية الحوار بين حاله مع الدّهر الذي كشّر عن أنيابه لأذيته وبين الحال التي سيؤول إليها في ظل الأمراء في البلاط الحفصي.

المبحث الثاني: حوار الشاعر مع ذاته (الحوار الداخلي)

إن حوار الشاعر مع ذاته هو حوارٌ ينطلق في الأساس "من الذات ويعود إليها مباشرة، فهو من هذه الناحية متكاملٌ مكتف بذاته، البطل فيه يتساءل ولا حاجة له في

(٣٥) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٤١٥).

الجواب، إلا أن يجيء ذلك من تلقاء نفسه ومن الداخل أيضاً"(٣٦) ، ولهذا فإنه "حوارٌ أحاديّ الإرسال تعبّر فيه شخصية واحدة عن حركة وعيها الداخلي، في حضور متلقٍ، واحدٍ، متعددٍ، حقيقي أو وهمي، صامت غير مشارك في الإجابة"(٣٧) . والحوار مع الذات الشاعرة هو صوت الشاعر وحديثه إلى نفسه؛ لأن النفس عنده هي "ذاتٌ أخرى.. تقاسمه وجوده، وتؤثّر في سلوكه، وتتصارع معه.. فالصراع مع الذات نوعٌ من تحويل مواجهةِ الإنسان للغير إلى مواجهةٍ مع النفس"(٣٨)، ثم إن هذا الحوار الداخلي مع النفس قد يكون نتيجة أزمةٍ نفسية حادة مرّ بها الشاعر، أو صراع شعوري ألمّ به ناتج من عدم تحقيقه لما يصبو إليه، أو فراق أهله وعشيرته أو محبوبته أو فقدانه لعزيز، أو الاشتياق للوطن؛ فيحاول أن يقدم ذلك على دفعات ونفثاتٍ شعورية متمركزة في وعيه الخاص، فهو حوار فردي يعبّر عن كوامن النفس الداخلية(٣٩)؛ ولهذا يأتي على نحو صامت ومكتوم في ذهن الشخصية، ومحاورة الشاعر لنفسه "دالّةٌ على تقليبه الأمور من أوجهها جميعًا"(٤٠)، وهذا ما وجدناه عند الشاعر ابن الأبار الأندلسي، فقد روي أنه كان فيه "أنفة وبأو وضيق خلق، فكان يزري على المستنصر في مباحثه ويستقصره في مداركه"(٤١) ، لكن الظروف التي مرّ بها، وقساوة الحياة التي عاشها، أجبرته أن يستسلم، فلديه أطفالٌ هدّهم الجوع، وأخذ من أجسادهم كل مأخذٍ، فلا يستطيع النظر إليهم، وحاله صفر

(٣٦) قضايا الأدب العربي، عمر ابن سالم، وآخرون، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، د.ط، ١٩٨٧م، (ص١٢٥).

(٣٧) الحوار في الخطاب المسرحي، محمود عبدالوهاب، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، العدد:١٠، ١٩٩٧م، (ص٥٢).

(٣٨) النفس في الشعر الجاهلي، حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٩م، (ص٨٩).

(٣٩) ينظر: الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبدالعزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠م، (ص٣٩).

(٤٠) ثقافة الحوار مع الآخر في نماذج من الشعر الجاهلي، عمر شحادة، وريم المعايطة، (ص٦٩٧).

(٤١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، (٦/ ٤١٩).

اليدين. فنراه في سياق المدح والاستعطاف لأبي زكريا الحفصي حين غضب عليه، يقف مع ذاته، ويبدأ مخاطبتها بصيغة الأنا (أنا)، ويُمَنِّي نفسه بصلاح الحال، وأنّ الأمل يبقى دومًا مرجوًّا، وبأن ثقته في الأمير الحفصي لا تتزعزع، فيقول(٤٢):

أَنَا جَارُ البَحْرِ إلا أنّ لي ... مِنْهُ في حال الوُرود الثَّمدا
وعلى ذلك يا نفْسي فلا ... تيْأسي إنّ مَعَ اليَوم غَدا
لِلإمَام المُرْتَضَى مما مضى ... خَلَفٌ يُولِيكَ عَيْشًا رغَدا
ومتى عُدْتَ إلى اسْتِعْطافِه ... تَجِدِ العَوْدَ إلَيْه أَحْمدا
مَلِكٌ بالقُرْب مِن سُدّتِه ... يُحرز المَرْءُ العُلى والسؤْددا

حين تتصدر الأنا الأبياتَ الشعرية فإنها تكون بؤرة الاشعاع الدلالي في النص في التعبير عن الذات الشاعرة من خلال ضمير المتكلم (أنا)، وهذا يوحي للمتلقي بأن الذات الشاعرة متعالية رغم ما تعانيه من ألمٍ، لكن الظروف هي وحدها التي تجعل الشاعر يقف مكسور الجناح، في استعطافه الأمير طلبًا للعفو، ثم مناجاته لذاته ومحاورته إيّاها محاولًا التخفيف من مأساته وحالته الشعورية باستخدام آليات الحوار التي لا يريد منها جوابًا (يا نفسي- لا تيأسي- متى عُدتَ إلى استعطافه تجدِ...).

إن استهلال ابن الأبار أبياته بضمير (الأنا)، يعني أنه أوجد (أنا) ثانية، "وهذه الأنا ليست أناه الحقيقية، بل يرسمها لنفسه فيصبح حالمًا يقول: (أنا)، فإنما يكفُّ عن الحضور فاسحًا المجال أمام (أناه الثانية) التي هي أنا- متخيّلة"(٤٣)، فالتعبير عن هذه الذات المتخيّلة في أنا الشاعر له غايته الخاصة الناتجة عن إحساس الشاعر بالغربة النفسية، والغربة الاجتماعية، وقد تكون ناتجة من إحساسه بعدم كمال هذه الذات ونقصها؛ لوقوفه بين يدي الأمير مستعطفًا إيّاه؛ وراجيًا منه العفو.

(٤٢) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص١٧٠).

(٤٣) الحوار في شعر عبدالله البردوني، نوفل حمد الجبوري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م،(ص٨٤).

وفي موضع آخر يخاطبُ الشاعر نفسه مستخدمًا صيغة الاستفهام التعجبي الإنكاري، وذلك في سياق المدح والاستعطاف أيضًا؛ لينال العفو من السلطان أبي زكريا الحفصي، ولكن لا استجابة في ذلك، فيقف في نهاية القصيدة حائرًا مع ذاته إزاء مَنْ يستعطفه، ويطلب منه العفو، إذ يقول(٤٤):

ماذَا أقولُ، وأَيْنَ أَبْلُغُ مادِحًا وبِمَدْحهم غَنَّى البَليغُ المِصْقَعُ؟!

لم يقصد الشاعر في حواره مع نفسه بأنه مقصر عن مدح السلطان أبي زكريا الحفصي وولي عهده، ولو كان الظاهر يعني كذلك، فالحقيقة أنه يبين الحيرة التي هو تائهٌ فيها، من أسئلته لذاته: ماذا قول لكي أرضي السلطان؟! وما الصفات المدحية التي سأبلغ بها مكانة الرضى(٤٥)، وعليه فإن الاستفهام (ماذا أقول؟ وأين أبلغُ مادحاً...؟) هو حوار يكشف عن أبعاد التجربة النفسية، وطبيعة الصراع القائم بين الشاعر وذاته، ورغباته وتطلعاته المستقبلية في تحقيق آماله؛ نتيجة الخوف والقلق من عدم بلوغه الغاية في مدح السلطان؛ حتى ينال رضاه فيعفو عنه. إذ نستشف من طبيعة هذا الصراع أنه لا يوجد نهاية سطحية لهذا الحوار الداخلي؛ لأن الشاعر سجينٌ في حدود ذاتيته الضيقة لا يستطيع الخروج عنها ليصدر حكمًا على نفسه؛ لتردده بين: ماذا؟ وأين؟. فمثل هذا الحوار الداخلي يعدُّ كاشفًا عن المستوى النفسي للمتكلم/ الشاعر، وعن دوافعه ورغباته، مما يساعد على نقل السامع أو المتلقي مباشرة إلى الحياة الداخلية للشاعر/ الشخصية المتحدثة.

ونرى عاطفة الشوق والحنين للوطن تخالج فؤاد الشاعر الذي ذابَ شوقًا، فلا يتواني في أن يحدث نفسه، ويصور ذاته كغصنٍ ميّالٍ أشبه ما يكون بالسكارى الذين يفقدون الوعي، إذ يقول(٤٦):

(٤٤) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٣٦٧).

(٤٥) شعر ابن الأبّار الأندلسي: دراسة نقدية، جمال عبدالكريم أبو نجم، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٩٦م، (ص٧٨).

(٤٦) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص١٨٧).

إلى أوْطَانِهِ حَنّ العَمِيدُ فَظَلّ كَأنّه غُصْنٌ يَمِيدُ
ومسقطَ رأسه ذَكَر اشْتياقًا فَذاب فُؤادُه وهو الحديدُ
ولو رام السلُوْ أبَتْ عَلَيه مَعاهد عهدُها الماضي حميدُ

في هذه الأبيات الثلاثة يبرز الحوار مع الذات في مناجاة الشاعر نفسه، وتذكيرها بمسقط راسه، وأيام الصّبا واللهو، فهو دائم الحنين إليها، يؤكد ذلك حرف الجر (إلى) الدال على انتهاء الغاية، فغاية الشاعر هو الوطن مسقط رأسه الذي يحنّ إليه، ثم استعماله للفظ (ذكرى)، وتقييدها بالاشتياق؛ فيه دلالة على أن حياة الشاعر في صباه كانت مليئة بالذكريات الجميلة التي ظلّتْ راسخة في ذكرياته لا يستطيع نسيانها أبدًا، بخلاف الذكريات الأليمة التي تعكر صفو الحياة، فالإنسان غالبًا ما يحاول نسيانها.

ونظرًا لعدم استقرار حالة الشاعر النفسية، وتخبطه في الحياة بين فراقه الوطن، وفقدانه الأحبة، وبين بلهنية العيش في بلاط الخلافة الحمصية، يخاطب الشاعر نفسه في سياق حديثه عن الذكرى والشوق والحنين؛ ليبرز للمتلقي بالحوار مع ذاته عاطفتَه الجياشة والممزّقة كتمزُّق شمله، والتي تعبّر عن عالم كامنٍ في داخله من إحساس قاس بالغربة، فلا يجد القارئ معها إلّا معايشة واقعه والتألم لألمه، إذ يقول(٤٧):

أيا أسفي عَلى عَدَم الهُجُوعِ وفِقْدَانَ الأَحبَّةِ والرّبُوعِ
وشَمْلِي مَزَّقَتْه يَدُ الرّزايا لِيُنْظَمَ بَعْدَهَا شَمْلُ الدُّمُوعِ
إلَى مَنْ أَشْتَكِي صُنْعَ اللَّيالِي بنا وتَفَرَّقَ الحَيِّ الجَميعِ
صَدَعْنَ القلبَ بالزفرات عمدا فيا لله لِلْقَلْبِ الصَّدِيعِ
وَرَوَّعْنَ العَمِيدَ وكَانَ جَلْدًا فَيَا لله لِلصَّبِّ المَرُوعِ
فَهَا أَنَذَا كَمَا شَاءَتْ عُدَاتِي بَعيدُ الصِّيتِ في الأَسَفِ البَديعِ
يَشُقُّ عَلَيَّ عَنْ أَهْلي نُزُوحِي ويَغْلِبُني إلى وَطَنِي نُزُوعِي

(٤٧) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٣٨٠).

فَكَمْ أَبْكِي الدِّيارَ وسَاكِنِيْها بِطَرْفٍ مُسْعِدٍ وَدَمٍ هَمُوعِ

وكَمْ أَرْجُو الإِيابَ لَهَا سَفاهًا وتَركُس بِالإِيَابِ وبِالرُّجُوعِ

إننا نجد الحوار الداخلي يعبّر عن عمق المعاناة والحسرة والألم لدى الشاعر في التركيب اللغوي (أيا أسفي)، ولذا فقد تناسبت معاني المفردات التي شكلت البنية الشعرية مع ما يريد أن يفصح عنه الشاعر، فهو يعيش حالة اليأس والتأسف والألم والحسرة، فلا نومٍ ولا استقرار ،فقد فَقد الأحبة والوطن، فحالته متقلّبة بين عناء وغربة، وفراق وحزن وتشتت، (وشملي مزّقته يد الرزايا) حتى أصبح مكسور الجناح، مجروح القلب خائفًا في غربته، بعيدًا عن أهله ومَنْ يحبّهم (يَشُقُّ عليّ عن أهلي نزوحي)، وهذا الحال هو الذي يريده حسّاده. مما جعله يؤكد ذلك للمتلقي بأسلوبٍ خبري: (فها أنذا كما شاءَت عُداتي...)، ويتابع حديثه الداخلي مع ذاته إلى حدّ البكاء دمًا على وطنه ومحبيه. إن الشاعر في هذه الأبيات يقيم خطابه الحواري على المناجاةَ التي هي "إحدى طرائق الحوار الداخلي، ويكون الحديث فيها على انفراد، ولكن يؤخذ بعين الاعتبار وجود السامع، فهي تكنيك يقدم المحتوى الذهني، والعمليات الذهنية للشخصية مباشرة من الشخصية للقارئ"(٤٨)، وهو بهذه الطريقة الحوارية يحاول أن يقدّم للمتلقي الصورة الواقعية لحالته الشعورية؛ ليخفف من معاناته، باحثاً عن الراحة النفسية، والتعويض عن كل ما يحسه إزاء الظروف المحيطة به من خلال لغته التي تعكس افتراضه بوجود سامع أو متلقٍ.

وفي سياق مدح الشاعر لأبي الحسن يحيى الخزرجي حاكم شاطبة عند التجائه إليه بعد أن ترك سيده الحاكم الموحدي أبا زيد عند الأرغوانيين حين تأكّدتْ له خيانته، وبأنه ارتد عن الإسلام واعتنق المسيحية(٤٩)، نراه يفصح للمتلقي باستخدامه تقنية الحوار

(٤٨) الحوار في شعر عبدالله البردوني، نوفل حمد الجبوري، (ص٨٤).

(٤٩) التناص في شعر ابن الأبار الأندلسي، صالح هندي صالح، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم والآداب الإنسانية، الأردن: جامعة آل البيت، ٢٠١٥م، (ص١٥).

الداخلي عما كان يشعر به من حسرة وألم وندامة وهو في بلاد الروم، على الرغم من الحفاوة التي حظي بها هناك، إلّا إن ألم الغربة والبُعد عن الوطن، وصراعة مع ذاته في التمسُّك بمبادئه وقيمه الدينية السّمحة، وانصدامه بخيانة صديقه كان لها الأثر الكبير في نفسيّته مما جعله يستدرك كل ذلك، ويعود إلى الأندلس، وفي ذلك يقول مخاطبًا نفسه(٥٠):

وكَفاك أنَّ الرّوم كانَتْ جِيرَتي ... مِنْ جَوْرِ دَهْرِي واسْتِحالةِ حالي

كُنْتُ الطَّلِيقَ هُنَاكَ لَكنْ لَمْ أزَلْ ... مِن شدّةِ الحَسَرَاتِ في أَغْلال

أبْكِي على اسْتِئْصالِ مَنْ ... وأُطِيلُ فِي الأسْحَارِ والآصَال

حَتَّى إذَا فَارَقْتُ أرْضَهُمُ التي ... كانَتْ عِقالًا ثانيًا كَعِقَالِي

ودَعَانِيَ الشَّوْقُ المُذِيبُ لِمنازلي ... فَأَجَبْتُهُ وجِلالي

لاَقَى بيَ الجَدُّ العَثورُ عِصَابَةً ... ذَهَبَتْ بِمَالِي كَيْ يَسُوءَ مآلي

فاسْتَأنَفَتْ نَفْسي بِحُكْم ... خَوْضًا لأَهْوَالٍ عَلَى أهْوَالِ

ما زِلْتُ منها في خَسَالٍ مُتْلِفٍ ... حَتَّى غَدَوْتُ مفارقًا لخَبَالِ

فالحوار الداخلي في هذه الأبيات يعبّر به الشاعر ابن الأبار عن ذاته حاملًا دلالات نفسية صادقة توحي بعناء الغربة والابتعاد، وبحرارة المشاعر إزاء وطنه وأصحابه، فيجسّد للمتلقي صورة الحسرة والنّدم، وصورة الفراق واللقاء، فراق أهله ووطنه ورحيله لبلاد الروم، وصورة النّهب والسّلب التي تعرّض لها وهو في طريق العودة لوطنه وأصحابه، لكنه يتفاجأ بصورة مضادة أيضًا لصورة الحب والترحيب ممن يكنون له الود والمحبة في وطنه، وهي صورة الكُره والحسد أيضًا من عاذليه ومن لا يريدون له العيش بكرامة في ظل البلاط الحفصي. ولذا فالحوار الداخلي في هذه الأبيات يسير بصورة محورية يخرج الكلام من الذات ويرجع إليها، ما يجعله يمثل لنا صورة الصراع بين البقاء والرحيل، والحياة والموت، والحب والبُغض، والغنى والفقر، ويفصح عن خلجات الشاعر وحالته النفسية في مواجهة ذلك.

(٥٠) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٢٦٣).

ونجد شدّة الشوق لمن فُقِدوا من أحبّة أعزّاء على قلب الشاعر في سياق الرثاء، فيناجي ابن الأبار نفسه علّهُ يخفف من أحزانه وآلامه على من فارقوه، فيرثي عزيزًا له بقوله(٥١):

أحِنُّ إلى تُرْبٍ ثوى سكنًا به فَأَلْثَمُه شَوْقًا لمنْ وُسّد الترْبا

وأُطْبِقُ أجفاني أحاول غَفْوَةً فيَأبى هُناك الهُدب أن يصِل

فلو أنّني طَوَّعْتُ قَلبيَ ساعةً قضى نحْبه لهفًا على من قضى

يتجلّى الحوار الداخلي من خلال الضمائر المستعملة في بنية الخطاب الشعري، (ضمائر المتكلم، والغائب) التي اتّكأ ابن الأبار عليها في تكوين شخصية حوارية؛ يخرج الكلام منها ويرجع إليها، وذلك ناتجٌ عن إحساس الشاعر بالوحدة، ومحاولة القضاء عليها؛ رغبةً منه في تحقيق نوعٍ من الراحة النفسية بإزاحة السكون المسيطر على ذاته، فيعقد بينه وبينها حواراً يكشف عن كوامن نفسه الداخلية إزاء من فقده، حيث أجاد الاختيار للمفردات التي تعبّر عن ذلك، وهي (أحنُّ إلى ترب- فألثمه شوقًا- أطبقُ- أحاول غفوةً- يأبى- أن يصل الهدبا- طوّعت قلبي- قضى نحبه) وهذه المفردات قد شكّلت دورًا بارزا بتعاضدها في السياق، وتعزيز المعنى المراد إيصاله للمتلقي، وهو تصوير حال الشاعر وحزنه العميق على صديقه.

المبحث الثالث: حوار الشاعر مع المكان

للمكان منذ فجر البشرية حضور فاعل ومؤثر في النفس البشرية، فهو يرتبط بوعي الإنسان منذ نعومة أظفاره، فيختزن في ذاكرته أشياءٌ كثيرة من العواطف والذكريات الإيجابية والسلبية؛ فهو جزء لا يتجزّأ من حياته. فالشعراء منذ العصر الجاهلي قد وقفوا عند الدِّمَن والآثار وغير ذلك فناجوها وخاطبوها خطاب المحبّ الولهان، هذا الخطاب النابع من القلب عبّر عن صدق الشعور والعواطف، فجاء صورةً واضحة للواقع وللحالة النفسية لدى الشاعر. والشاعر الأندلسي كغيره من الشعراء اهتم بالمكان،

(٥١) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٥٧).

فحاكاه، وبث إعجابه وشوقه وفرحه، وأيضًا معاناته وحزن وتعبه. والشاعر ابن الأبّار لم يختلف عن غيره من الشعراء الأندلسيين في تصويره ووصفه للمكان، لكن المقام هنا لا يتسع للحديث عن وصف المكان في شعره؛ لأن ما يهمنا في هذا البحث هو المكان الذي حاوره الشاعر، وصوّر للمتلقي به الحالةَ الشعورية التي كانت تعتريه أو مازال يشعر بها حين إلقائه القصيدة، وباستقرائنا لشعره وجدنا أن إحساس الشاعر بالوحدة والغربة جعله يقيم حواراً مع المكان؛ "فالعلاقة التي تربط الشاعر بالمكان هي الذكريات والتأملات، وعندما يشعر بأن هناك فاصلاً يفصله عن المكان يبدأ يتوسل به ويناجيه؛ لأنه ليس من السهل عليه أن يتخلّى عن هذا المكان الذي يعني له أشياء كثيرة جدًّا"(٥٢)، ومن أمثلة ذلك قوله(٥٣):

يا منْزلًا كان الحِفاظُ يُجِلَّه والجود بالضِّيفَان فيه يُرَحّبُ
أهوى حلولك ثم يسلِبُني الهوى أنّ العَدُوّ بِجانبَيْك مطنِّبُ

إن المتأمل للخطاب الشعري في هذه الأبيات يجد أن الشاعر قد عقد حواره مع المكان (المنزل) باستخدام صيغة النداء (يامنزلًا)، فنداء الشاعر للمنزل يكشف عن العلاقة النفسية والروحية التي يحتلها المكان في فكر الشاعر، ولهذا يخاطبه بقوله: (أهوى حلولك)، محاولًا بذلك أن يستنطق المكان؛ ليبيّن له أن العدو متربصٌ له، ولهذا فإن الصيغة الفعلية (أهوى) تجسّد طبيعة الحوار بين الشاعر والمكان الذي دل عليه لفظ المنزل والضمير المتصل (الكاف) في قوله: (أهوى حلولك).

(٥٢) جماليات الأسلوب والتلقي، موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، أربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، (ص٦٤).

(٥٣) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٢٦٣).

ونجد الشاعر في موضع آخر يوجّه خطابًا لدولة العلم والآداب بأن تسامح ممدوحه يحيى المرتضى الذي وصفه بالبليغ إن صدر منه زلّة أو كبوة؛ وبأنها دولة تمتاز بالكمال في كل جوانبها العلميّة والعمليّة وغير ذلك، فيقول(٥٤):

أيَا دولَةَ الآدابِ والعِلْمِ سَامِحِي بَليغًا إذا أفْضى لتلك الحُلى أفْصَى
ودُومي بَهاءً للزَّمان وزِينَةً وجُودُك لا يَرْضَى لَنَا فَيْضُهُ قَبْصَا
فَكُلُّ تمامٍ لَيْسَ يُؤْمَنُ نَقْصُه وهذا تمامٌ باهِرٌ يَأمَنُ النَّقْصَا

استطاع الشاعر بتوظيفه تقنية الحوار (أسلوب النداء) أن يبيّن للمتلقي رؤية الكمال والتمام لدولة العلم والآداب؛ وذلك من خلال ما ذكره من صفات لممدوحه، غير أنه هنا في أثناء ندائه لدولة العلم قد وقع فيما لا يقدر على التخلّص منه، وهذا واضحٌ من قوله: (سامحي بَليغًا إذا أفْضى لتلك الحُلى أفْصَى)، ومن قوله: (وجُودُك لا يَرْضَى لَنَا فَيْضُهُ القَبْصَا).

ولمجالس العلم والعلماء مكانة خاصة عند الشاعر ابن الأبّار، فقد كان يجلُّ أساتذته وشيوخه، ويشتاق إليهم، وإلى كل مكانٍ كان يتلقّى فيه العلم على أيديهم، بل إنه يشتاق إليهم بعد موتهم، ويصف ذلك في قصيدة خاصة يناجي فيها نفسه، فيقول(٥٥):

أحِنُّ لأرْباب المَعارف بالتُّرْب وأرْجو بهم شَفْع الصّنيعة بالرّب
مكانَ اعتمادي واعتدادي وتُدَّخر الأعلاقُ للحِقَب الشُّهْب
وهل دَرَكٌ في أن تقرّبْتُ منهم بأسْنى أناسٍ أحرزوا دَرَكَ القُرْب؟
تَلَقّوا جنى القرآن غُضًّا عن أتى خاتِمًا للرُّسل في خاتم الكُتب
أطوف بناديهم رَجَاءَ نَداهُم كذاك انتظامُ الطّير في منْثَر الحَبّ
هُمْ القوْمُ لا يَشْقى جليسُهُمُ وَحسْبيَ أن يَغْشَى مجالسَهُم قَلبِي

(٥٤) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٣٥٨).
(٥٥) المصدر نفسه، (ص٩٧).

بعد أن يناجي الشاعر نفسه في اشتياقه لمجالس العلم ومجالسته للعلماء، يفصح عن شدّة تعلقه بتلك الأماكن التي كانت تجمعه بشيوخه ليتلقى العلم منهم؛ وذلك باستخدامه للألفاظ (أطوفُ- بناديهم- رجاءً)، والطواف لا يكون إلّا حول مكان له من الأهمية في النفس ما له، ولذا فقد استطاع الشاعر بتوظيفه لتقنية الحوار مع ذاته أن يقدِّم للمتلقي رؤية الوفاء والإخلاص، والشوق والحنين لأماكن العلم، وللعلماء وأماكنهم وإنْ كانوا تحت الثرى.

وإذا كنّا قد وجدنا بعضًا من القصائد أو المقطوعات التي خاطب الشاعر فيها وطنه أو دياره ومسقط رأسه أو غير ذلك، وكشف عن حالته الشعورية إزاء ذلك، فلم نجد إلّا بضعةً حواراتٍ قصيرة جدّا مع أشياء من الطبيعة بنوعيها الجامدة والمتحركة؛ ويعود ذلك إلى أن الشاعر لم يكتب إلّا مقطوعات وقصائد جاءت بالنزر اليسير في ديوانه تصف بعضًا من مظاهر الطبيعة وجمالها مازجًا بينها وبين مشاعره، إذ نجده يحاور بستان الرصافة في إحدى مقطوعاته التي قالها في مجرى مياهٍ تَصُبُّ في غدير، حيث بدأها بأسلوب الاستفهام، قائلًا(٥٦):

أَبُسْتَانَ الرَّصَافَةِ لا هَوِيتُ سِوَاكَ بُسْتَانا
تَخَال الدّوْحَ مُخْتَلِفًا بِهِ شِيبًا وشُبَّانا
وقَدْ لَبِسَت مَفَارِقُها من الأنْداء تِيجانا

إن اللغة في هذه الأبيات بسيطة وواضحة جاء الحوار فيها قصيرًا، معتمدًا في بنيته اللغوية على أسلوب النداء، (أبستان..)، وبعض أدوات الربط (لا-سواك) التي تفيد عدم افتتان الشاعر بغير هذا البستان، لجمالة وطيب أزهاره، ولذا فالشاعر يريد أن يقدّم للمتلقي رؤيته للطبيعة، والافتتان بجمالها. ولأنَّ البستان قريبٌ من نفسية الأمير الحفصي واهتمامه به؛ فقد كان أيضًا قريبا لنفسية الشاعر الذي أشار إلى أنه لم يفتتن بغيره (لا هَوِيتُ سواك بستانا)، ولعل في ذلك إشارة إلى ما يريد إيصاله للأمير من إخلاصه له، وشدّة قربه وتعلقه به وبالبلاط الحفصي.

(٥٦) الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، (ص٣٤٣).

الخاتمة

خلص البحث إلى أن الحوار في شعر أبي عبدالله محمد بن الأبّار القضاعي قد أدّى دورًا في بنية النص الشعري، وقد وظّفه الشاعر في سياقات موضوعية متعددة، وقد أكثر منه في سياق المدح والغزل، يليه بعد ذلك سياق الشوق والحنين والذكرى، ثم الرثاء لكنه جاء بنسبة قليلة فيه، وقد كان للحوار في كل سياقٍ ورد فيه وظيفة دلاليّة كشفتْ عن تجربة الشاعر ورؤيته للحياة والناس.

كما بيَّنَ البحثُ أن الحوار مع الآخر جاء في سياق المدح والاستعطاف والتهنئة والرثاء؛ ليقدم رؤية الشجاعة والإقدام والمخاطرة بالنفس، ورؤية الكرم والجود والعطاء والعفو والتسامح، والتي كان يتمتع بها الممدوح ويتحلّى بها المرثي.

أفصح الشاعر بحواراته التي وظفها في بنية خطابة الشعري عن حالته النفسية، وبأنه كان مجبرًا في كثيرٍ من جوانب حياته -وخاصة فترة بقائه في البلاط الحفصي- على التّزلّف ومداراة الآخرين واستعطافهم مرات ومرّات؛ طلبًا للحياة الكريمة والعيش بأمان، ولتحقيق ما يصبو إليه.

جاء الحوار مع المكان والطبيعة بنسبة قليلة جدّا في شعره؛ ولعلّ مرد ذلك يعود إلى قلّة ما كتبه في وصف الطبيعة وجمالها، وإلى عدم استقرار الحالة النفسية لدى الشاعر، ولربما لم يجد وقتًا ينفرد فيه مع الطبيعة ليناجيها، ويبث من خلالها همومه وأحزانه أو فرحه وأتراحه.

المصادر والمراجع

١- أساليب الحوار في شعر ابن الوردي، عبدالله أحمد الوتوات، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراته، ليبيا، العدد: ٨، السنة ٣، يونيو، ٢٠١٧م.

٢- أسلوب الحوار في النص الشعري الحديث، حازم فاضل محمد البارز، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، بابل، العراق، المجلد:٢٣، العدد: ٤، ٢٠١٥م.

٣- البناء الدرامي، عبدالعزيز حمودة، دار التيسير، عمان، د.ط، ١٩٨٨م.

٤- البنية الدرامية في شعر أمل دنقل، كمال أبو ديب، ، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد:٤، العدد: ٤، ١٩٩٦م.

٥- تحليل لرواية تولستوي البعث، ميخائيل باختين، ترجمة وتقديم: محمد برادة، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العدد: ٢، السنة: ٣، ١٩٨٣م.

٦- التناص في شعر ابن الأبار الأندلسي، صالح هندي صالح، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم والآداب الإنسانية، الأردن: جامعة آل البيت، ٢٠١٥م.

٧- تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: د. محمود الربيعي، دار المعارف، مصر، ط٢، د.ت.

٨- ثقافة الحوار مع الآخر في نماذج من الشعر الجاهلي، عمر عبدالله أحمد شحادة، ريم فرحان عودة المعايطة، مجلة العلوم العربية والإنسانية، المملكة العربية السعودية، المجلد: ٧، العدد:٢، ٢٠١٤م.

٩- جماليات الأسلوب والتلقي، موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، أربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

١٠- الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، عبدالسلام فاتح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ١٩٩٩م.

١١- الحوار في الخطاب المسرحي، محمود عبدالوهاب، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، العدد:١٠، ١٩٩٧م.

١٢- الحوار في القصة والمسرحية، طه عبدالفتاح، ، دار النشر للطباعة، مصر، د.ط، ١٩٧٥م.

١٣- الحوار في شعر عبدالله البردوني، نوفل حمد الجبوري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.

١٤- الحوار في شعر عروة بن الورد-الرؤية والتشكيل، محمد خليل الخلايلة، ومنذر كفافي، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، مصر، العدد: ١٦، يناير، ٢٠٠٤م.

١٥- الحوار، الذات والآخر، عبدالستار الهيتي، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٤م.

١٦- الحوار، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، عبدالناصر هلال، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٧- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨م.

١٨- الديوان، أبو عبدالله محمد ابن الآبار، قراءة وتعليق: عبدالسلام الهراس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، د.ط، ١٤٢٠هـ.

١٩- الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعد عبدالعزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠م.

٢٠- شعر ابن الأبّار الأندلسي: دراسة نقدية، جمال عبدالكريم أبو نجم، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٩٦م.

٢١- شعر ابن الأبّار البلسني القضاعي(٥٩٥ه-٦٥٩ه) دراسة في مضامين الخطاب ومكونات المتن، سعود غازي محمد الجودي، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الدراسات العليا العربية- أدب، كلية اللغة العربية: مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ٢٠٠٠م.

٢٢- في الشعرية، كمال أبو ديب، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، د.ط، ١٩٨٧م.

٢٣- قضايا الأدب العربي، عمر ابن سالم، وآخرون، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، د.ط، ١٩٨٧م.

٢٤- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٢٥- المعجم الأدبي، جبور عبدالنور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٢٦- النفس في الشعر الجاهلي، حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٩م.

Romanization of Resources

1- Addeewan: Abu 'Abdullah Muhammad Ibn Al-'Abbar, Reading and comments: 'Abdul-Salam Al-Harras, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Moroccan Kingdom, w. ed., 1420 h.

2- Deewan Almubtada' Walkhabar fi Tareekh Al'arab Walbarbar waman 'Aasarahum min Thawi Alsha'n Al'akbar: 'Abdul-Rahman bin Muhammad Ibn Khaldoun, Verifier: Khalil Shahadah, Beirut: Dar Al-Fikr, 2nd ed., 1988.

3- Qadaya Al'adab Al'arabi: 'Omar Ibn Salim and others, Center of Economic and Social Studies and Researches, 1987.

4- Lisan Al'arab: Jamaluddeen Muhammad bin Makram bin 'Ali Ibn Manzhour, Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 1992.

5- Albinyah Addiramiah fi Shi'r 'Amal Dunqal: Kamal 'Abu Deeb, Journal of Islamic University, Gaza, Palestine, V. 4, Issue 4, 1996.

6- Fi Alshi'riyyah: Kamal 'Abu Deeb, Beirut: Arabian Research Foundation, w. ed., 1987.

7- Shi'r Ibn Al-'Abbar Al-'Andalusi, Dirasat Naqdiyyah: Jamal 'Abdul-Kareem Abu Najm, an Unpublished PhD Thesis, Arabic Language Dept., Arts College, 'Um Durman Islamic University, Sudan, 1996.

8- Tahleel Liriwaayat Tulistui "Alba'th": Mikhail Bakhtin, Translation and introduction: Muhammad Biradah, Foreign Culture Journal, Baghdad, Issue: 2, Year: 3, 1983.

9- 'Osloub Alhiwaar fi Annas Alshi'ri Alhadeeth: Hazim Fadhil Muhammad Al-Baariz, Humanistic Sciences Journal of Babil University, Iraq, V. 23, Issue: 4, 2015.

10- Alhiwaar fi Shi'r 'Abdullah Al-Barddouni: Nawfal Hamad Al-Jabouri, Dar Ghayda'a for Publishing and Distribution, Amman, 1st ed., 2011.

11- Shi'r Ibn Al-'Abbar Al-Balsani Al-Qudhaa'i (595h – 659h) Diraasah fi Madhaameen Alkhitaab Wamukawinaat Almatn: Sa'ud Ghazi Muhammad Al-Jowdi, an Unpublished PhD Thesis, Higher Arabic Studies Dept. – Arts, Arabic Language College: Makkah Almukaramah: 'Omm Al-Qura University, 2000.

12- Albina'a Addirami: 'Abdul-'Aziz Hammoudah, Dar Al-Tayseer, Amman, w. ed., 1988.

13- Alhiwaar fi Shi'r 'Orwah bin Al-Ward – Arru'yah Waltashkeel, Muhammad Khalil Al-Khalaylah and Munthir Kafafi, Arts College Journal, Asyout University, Egypt, Issue: 16, Jan., 2004.

14- Jamaliaat Al'osloub Wattalaqi: Mousa Rababi'ah, Hamadah Foundation for Social Studies, 'Irbid, Joran, 1st ed., 2000.

15- Thaqafat Alhiwaar ma'a Al'aakhar fi Namathij min Alshi'r Aljaahili: 'Omar 'Abdullah Ahmad Shahadah and Reem Farhan 'Awdah Al-Ma'aayitah, Journal of Arabian and Humanistic Sciences, Kingdom of Saudi Arabia, V. 7, Issue: 2, 2014.
16- Attanaas fi Shi'r Ibn Al-'Abbar Al-'Andalusi: Salih Hindi Salih, an Unpublished Master Thesis, Arabic Language and Arts Dept., Sciences and Humanistic Arts College, Jordan: 'Aal Albayt University, 2015.
17- Azzaman Attirajidi fi Arriwaayah Almu'aaserah: Sa'd 'Abdul-'Aziz, Egyptian Anglo Library, Cairo, w. ed., 1970.
18- Alhiwaar fi Alqissah Walmasrahiyyah: Taha 'Abdul-Fattah, Dar Al-Nashr for Printing, Egypt, w. ed., 1975.
19- Almu'jam Al'adabi: Jabbour 'Abdul-Nour, Dar Al-'Elm Lilmalayeen, Beirut, 2nd ed., 1984.
20- Alhiwaar fi Alkhitaab Almasrahi: Mahmoud 'Abdul-Wahab, Almawqif Althaqafi Journal, Baghdad, Issue: 10, 1997.
21- Alhiwaar Alqasasi Taqniyaatih Wa'elaqaatih Assardiyyah: 'Abdul-Salam Fatih, 'Arabian Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st ed., 1999.
22- Alhiwaar, 'Aaliyaat Assard fi Alshi'r Al'arabi Almu'aasir: 'Abdul-Nasir Hilal, Center of Arabian Culture, Cairo, 1st ed., 2006.
23- Tayyaar Alwa'y fi Arriwaayah Alhadeethah: Robert Himfri, Translation: Dr. Mahmoud Al-Rabee'i, Dar Al-Ma'aarif, Egypt, 2nd ed., w. d.
24- Alhiwar, Althaat Wal'aakhar: 'Abdul-Sattar Al-Hayti, Kitaab Al-'Ommah, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Qatar, 1st ed., 2004.
25- Alhiwaar fi Shi'r Ibn Al-Wardi: 'Abdullah Ahmad Al-Watwaat, Scientific Journal of Education College, Misratah University, Libya, Issue: 8, Year 3, June, 2017.
26- Annafs fi Alshi'r Aljaahili: Husni 'Abdul-Jaleel Yusuf, Al-'Aadaab Library, Cairo, w. ed., 1989.